

أمثال القرآن

[397] نكرانهم نعم الله، فكانوا يقولون مثلاً: (يا له من وضع، فقد كان السفر خاصاً بالأثرياء، وحالياً الجميع بإمكانه السفر)، أو (يا له من بلد تتصل فيه القرى بالمدن والقرى بالقرى، وكل مكان فيه مشجّر ومعمور؟ يارب فرّق بين القرى)، وكثير من الكلمات الأخرى التي تصدر عن غفلة. أدّى نكران النعمة إلى نزول العذاب الإلهي وتدمير ما كان معموراً. هل تعلمون كيف دمّر الله هذا البلد العامر؟ هل دمّره بالقنابل النووية؟ كلا، كانوا ضعفاء كبيت العنكبوت، فما كانت الحاجة إلى قنابل نووية، فقد أوكل الله وظيفة تدمير هذا البلد إلى مجموعة من الفئران، لكي يفهم الإنسان أن كل قدرة غير الله ضعيفة كضعف بيت العنكبوت. أوجدت الفئران ثقباً صغيراً في السدّ توسّعت هذه الثقوب تدريجياً إلى أن أدت إلى انهيار السدّ في ليلة تزامن مع صوت مرعب، وغطى الماء البلد لكي يتبدّل إلى مستنقع بعد ما كان يبدو بلداً أخضر من كثرة الأشجار والمزارع والبساتين، ولم يعد بلداً مؤهلاً للعيش، فهجره أهله إلى البلاد المجاورة. 2- أليس الاتكال على غير الله اتكال على بيت العنكبوت؟ النموذج الآخر للقدرات الشبيهة ببيت العنكبوت هو قدرة الشاه نادر قلي أفسار، فقد استطاع بقدرته طرد الأفغان الذين كانوا يسيطرون على إيران ظلماً وعدواناً ثمّ أقدم على توسيع رقعة سلطته، فهاجم عدوّه دول حتى وصل الهند وتحوّل إلى أسطورة، لكنّ هذه الأسطورة وافاها الأجل ببساطة. في ليلة غضب على أحد طبّاحيه، وخوفاً من توقيع حكم إعدامه صباح اليوم اللاحق سابق الطباخ وأقدم على قتل نادر شاه ليلاً وقطع رأسه، وهو نائم. نعم، هذا هو شأن كل قدرة بيت عنكبوتية، وإذا دقّق الناس فهموا أنه لا يمكن الوثوق بقدرة غير قدرة الله، ولا يمكن الاتكاء على غير الوحيد الأحد.